أوراق من ملف المرأة العراقية

المـــرأة العـــراقيـــة همـــوم وتـــطلعـــات

اذا خفت العمى فإلى جانبك امرأة لن تخذلك.

-رجل منصف-

اعداد صافي الياسري

مهما طال الحديث وغار في اعماق سحيقة لم تطلها الكلمات من قبل، بشأن المرأة العراقية، يبقى الأفق الذي يحتوي معاناتها التاريخية العامة والشخصية، يتسع باستمرار مفشلا خدع الاحاطة به، انما تطلعاتها البسيطة بساطتها، فهي فقط التي يمكن ان ينظر اليها ويمكن ان ترى وتبصر بل تلمس ايضا، برغم انها هي الاخرى تراود عوالم الاستحالة ضمن الراهن العراقي، وهي تتضاءل وتنكمش باستمرار، وبخطوط عكسية مع اتجاهات وتحديات الهموم التي لا تني تنمو على اهدابها كالفطر على جذع سنديانه .

ثبت الحقوق والمكاسب والفاعلية

ما لذي اعطاه العراق الجديد للمرأة العراقية وأداه لها من حقوقها الطبيعية ؟؟ وما المكاسب التي يمكن ان تذكرها المرأة في العراق الراهن، وهي تمزق صفحات اربعة عقود مدلهمة، لتفتح صفحة، ما زالت عصية على الوصف برغم كل اشراقاتها، فثمة براكين دموية تتفجر يوميا وليس من نهاية مرصودة لها، فيسعى نحوها، وما زال دخانها البارودي يلوث فضاءاتها واديمها ويغلق الكوى بالجثث ومشاهد الرعب .

الاختناق العام والحل المستعصي الا بالهرب الصعب وسيادة منطق النفي والمنافي والهجرة والتهجير، تجعل كل فقرات ثبت الحقوق والمكاسب التي دونتها المرأة العراقية محل تساؤل مشروع ٠٠ وبكل ادوات التساؤل .

نعم حصلت المرأة العراقية على اعلى نسبة تمثيل برلماني في تاريخ العراق، نسبة فاقت حتى معدلات تمثيل المرأة في عدد من الدول المتقدمة، اذ زادت على ٢٥٪من مقاعد البرلمان، وبواقع ٧٠ عضوة من مجموع ٢٧٥ عضوا، لتشكل اكبر كتلة برلمانية، بعد كتلة الائتلاف العراقي الموحد.

وفي الحكومة نالت المرأة العراقية (٦) حقائب وزارية، واستحدثت وزارة خاصة بالمرأة، وارتفع عدد النساء في مواقع صنع القرار من (٢٢) امرأة قبل ٢٠٠٣ إلى (٣٤٢) امرأة يشغلن درجات رسمية ما بين درجة مدير عام ومعاون مدير عام ومستشار رئيس وزراء ومفتش عام ووكيل وزير، ولكن .. هناك من يرى ان هذه الارقام لا تعكس تطورا حقيقيا في واقع المرأة العراقية، بل ان هناك من يرى في هذه الارقام فخا كبيرا، اجهض المشروع النهضوي النسوي قبل ان يولد، والمرأة في البرلمان كما هو واضح من خلال طبيعة سلوكها ونشاطها، لا تعبر عن نفسها، انما هي تعبر عن المصالح الحزبية والكتلة السياسية التي رشحتها وجاءت بها، حتى انها يمكن ان تتواطأ ضد حقوق ومصالح بنات جنسها حين يكون القرار ماسا بمصالح او بايديولوجيا كتلتها، كما قالت عضوة برلمانية معلقة على (قانون الاحوال الشخصية) رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩، فقالت (هذا القانون أعطى المرأة اكثر مما تستحق)! وبذلك يمكن القول ان صياغة مفهوم (الحقوق) لم يتم برلمانيا استنادا إلى القيم العالمية المرعية (وهي ثمار الحركة الانسانية الداعية إلى المساواة) وانما وفقا لايديولوجيات تعكس طبيعة الثقافات التقليدية الذكورية، وهي ثقافات تمييزية تقوم على اضطهاد المرأة ووضعها بمرتبة ادنى، كما كتبت احدى الناشطات العراقيات نسويا .

كما ان فشل فاعلية المرأة يكشفه الدستور نفسه الذي شاركت في وضعه المرأة وفي اقراره شعبيا، فقد جاء متجاهلا مطالب الحركة النسوية العراقية، التي عبرت عنها الناشطات النسويات بالاعتصامات والتظاهرات خلال مدة كتابة الدستور، اضف إلى انه كتب بلغة ونص ذكوريين واضحين، من خلال الاشارة إلى المذكر دون المؤنث، وهو ما دفع بعض الناشطات إلى رفع توصية لتوضيح (ان الاشارة للمذكر في الدستور انما وردت لتشمل المؤنث ايضا) وهنا نتساءل ما الذي كانت تفعله البرلمانية العراقية التي شاركت كعضوة في لجنة كتابة الدستور وأين هي فاعليتها ؟؟

بعد أن كانت رائدة جامعية

إنخفاض مرعب في الإلتحاق بالمؤسسات التعليمية

بغداد/المدى

لم يكن مناخ العراق، مضادا لتعليم المرأة بنسبة عالية، اجتماعيا وقانونيا، لكنه كان يفعل فعله باتجاه اميتها العامة، بسبب منظومة الظروف المحبطة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، وحين بدا ان هذه الاوضاع اخذة في التحسن

. بدأ المتنورون العراقيون يحثون الحكومة على دفع عجلة تعليم المرأة بقوة و وقد قامت الحكومة فعلا و بما كان ممكنا، ضمن الظروف الاجتماعية السائدة وقد برزت من النساء العراقيات اسماء لامعة كرائدات، تعود بنا الدكتورة كاترين ميخائيل إلى ذكريات نماذج منها والبيئة التي عايشتها، فتكتب باسلوب نسائي جميل عامر بالهدوء – كانت فكرة الجامعة الشاملة قد ظهرت منذ بواكير الحكم الوطني وبتشجيع مباشر من الملك فيصل الاول، الذي امر بتشكيل لجنة تأسيسية لانشاء جامعة ال البيت في ١١ كانون الثاني عام ١٩٢٢، لتضم ست كليات –دينية وطبية وهندسية وحقوق واداب وفنون وكانت المرأة العراقية رائدة طموحة لدخول الجامعات وكان شرف الاسم الاول من نصيب الدكتورة اناستيان، فقد كانت اول طبيبة عراقية، عينتها وزارة الصحة، وهي فتاة ارمنية، واول عراقية دخلت كلية الطب في بغداد وتخرجت فيها سنة ١٩٣٩ الدكتورة سانحة امين زكي التي اضافت إلى تاريخ المرأة العراقية، صفحة مشرقة بتخرجها في كلية الطب وعندما كتبت ذكرياتها التي تبدأها بتاريخ ميلادها في بغداد سنة ١٩٢٠، وهي اول فتاة مسلمة تدخل كلية الطب، وتمثل الدكتورة سانحة شخصية المرأة العراقية المتنورة. وهي كأمرأة نراها تمثل العراقية في تحديها وتطلعها إلى التحرر والحداثة والعصرية،

اما الدكتورة سلوى عبد الله مسلم، فهي اول طبيبة صابئية مندائية، تخرجت عام ١٩٥٦، وكانت مثالا للخلق الطيب في عيادتها الخاصة، وقد عرف عنها التزامها وسلوكها المهني الرفيع.

في بداية عام ٢٠٠٤ نشرت وزارة التخطيط العراقية، احصاءاوارقاما بعدد النساء اللواتي يعملن في مجال الطب وفي وزارة العدل، وذكر ان في الرقم ما يقارب نسبة ٢٠٪ من الدرجات التي تحتلها المرأة كمدير عام . ونحن نعذر الدكتورة كاترين على عدم ايرادها تفاصيل دقيقة عن ارقام وميزانيات وتخصيصات تعليم المرأة في ميزانية الدولة العراقية انذاك، فعلم الاحصاء نفسه، لم يكن انذاك فعالا في ترتيب الخطط والبرامج في عموم سياسات الحكومات التي تعاقبت على العراق، لكننا لا ننكر ان حملات محو الامية للكبار والتعليم الالزامي قد ادت دورها بشكل جيد وفعال كسب احترام منظمة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، قبل ان ينغمر العراق في اتون حروب عبثية احرقت الاخضر واليابس، لينحدر التعليم في صفوف النساء إلى الهاوية وترتفع معدلات الامية حتى بين الصغيرات إلى نسب عالية جدا، وفي الوقت الحاضر فقد اسقط العنف السائد في عموم الساحة العراقية، ظلاله الكالحة على هذا الميدان الحيوي وانسحبت المرأة من مجالالت عديدة، في الحياة العامة، تاركة المدارس والجامعات باعداد خطرة، فهي غير قادرة على تحقيق اشتراطات الدرس التي تفرض اولا ان تتمكن الفتاة من الوصول إلى المدرسة والعودة منها إلى البيت سالمة، وهو ما لاتستطيع اية جهة رسمية ان تقول ان بامكانها ضمانه وقد اغلقت مدارس باكملها فصولا عديدة، في بعض المحافظات.

كما ان عمليات التهجير القسري، ادت إلى حرمان الكثير من العوائل المهجرة و من الحاق بناتها بالمدارس في المناطق التي نزحت اليها، لأسباب عديدة، منها الوضع المعيشي المتردي لهذه العوائل بسبب فقدانها مصادر رزقها، ورفض بعض المحافظات قبول ابناء المهجرين في مدارسها، هذا .. في الداخل العراقي اما خارج البلاد، فالوضع اشد سوءا ولا نريد احراج البلدان التي حرمت قبول الطلبة العراقيين في مدارسها. وسنت القوانين لذلك، تحت ذريعة ان قدراتها وامكاناتها الذاتية، تتوافق وتقديم الخدمة التعليمية لابنائها ولعدد محدود من المهجرين و ليس جميعهم، كل ذلك يرتب على المجتمع والدولة، واجبا ملزما ومهما، بل شديد الاهمية، في وضع الخطط الواقعية الفعالة، لدرء خطر انتشار الامية بنسب لا تتوقف بين النساء العراقيات، الامر الذي نجد انعكاساته السلبية على المجتمع العراقي، خطرا قد يصيب هذا المجتمع بالعوق المعرفي والثقافي، ما يتعارض والمشروع العراقي الجديد القائم على بناء شخصية عراقية سوية قادرة ومبادرة .

هي والتعليم

وبحسب احصاءات وزارة التخطيط ارتفع عدد الفتيات اللواتي تركن الدراسة في المرحلة الابتدائية، من (٣٩٢٦٦) لعام (٢٠٠٠-٢٠٠٢) إلى (٧٦٧٩٥) لعام (٢٠٠٣-٢٠٠٤) أي بنسبة الضعف وعلى ضوء نفس هذه النسبة وان كنا على يقين انها ارتفعت هي الاخرى، يمكن القول ان اكثر من ١٥٠ الف من الطالبات والتلميذات تركن الدراسة في عام ٢٠٠٥-٢٠٠٦ ولم تعد الارقام الرسمية التي تقدمها الوزارات دقيقة لاسباب عديدة منها عجزها عن التحديد، وافتقارها إلى الوسائل اللازمة لتكوين بيانات احصائية بارقام يقينية او حتى تقريبية.

اما عدد الطالبات الجامعيات اللواتي تركن الدراسة للعام الدراسي (٢٠٠٣-٢٠٠٤) فقد بلغ في الدراسات الصباحية، ٩٩٨٥ وفي الدراسات المسائية ٢٧٩٥ وفي عام ٢٠٠٥-٢٠٠٦ تضاعفت الارقام أيضا واوقفت الدراسة في جامعات الانبار وديالى ولا توجد احصاءات دقيقة بعدد الطالبات اللواتي حرمن الالتحاق بالدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية لهذا العام، وجاءت التفجيرات التي استهدفت الجامعة المستنصرية وعددا من كليات بغداد ومدارسها والجامعات الاهلية واساتذتها وطلبتها لتزيد الطين بلة ولتحجز على المرأة العراقية، وتمنعها من التعلم، هذا فضلا عن الضغوط النفسية الشديدة التي تتعرض لها الفتاة الطالبة حتى في الحرم الجامعي مثل قصاصات الورق التي تحمل التهديدات المتنوعة.

هـــي والعـــمـــل

بغداد/المدى

طرقت المرأة العراقية، مختلف ابواب العمل واشكاله، فكانت محامية وطبيبة ومعلمة واستاذة جامعية وقاضية ومربية وموظفة في دوائر الدولة والقطاع الخاص، وشغلت مكانها في المصانع في الاعمال والحرف التي تحتاج مهارة وتلك التي لا تحتاجها وعملت حتى في بيتها (خياطة وممرضة وقابلة وحلاقة وابتدعت اعمالا اخرى عديدة) وتمكنت من التغلب على الظروف الصعبة التي مرت بها العائلة العراقية، عندما فقد معيلها، اسيرا او قتيلا في الحرب ومهاجرا او عاجزا في ظروف الحصار وتحملت اعباءا ثقيلة وبرغم انها خرجت من كل تلك الظروف مثخنة الجراح، التي رافقت بعضهن حتى اليوم الا انها خرجت في النهاية وقد اثبتت قدرتها على مواجهة الصعوبات بعزيمة قوية، وحين تهاوت ركائز النظام السابق ظنت المرأة ان نهاية آلامها ومظالمها، قد حلت وانها يمكنها ان تتطلع إلى غد يمنحها ولو بعض العزاء عما فاتها من سني القحط والمكابدات والتعصب المضني، الا انها وللاسف وجدت نفسها تعيد الكرة وهي تقطع طريقا اشد وعورة وتفاصيل معاناة العراقية اليوم وهي تحاول اجتياز حواجز الوضع الراهن بينها وبين العمل، عديدة، وسنأخذ نموذجا منها من شريحة اكثر قربا واكثر معاناة وتضحية هي زميلتنا الاعلامية، وهي تؤدي واجبها، باحثة عن الحقيقة وناقلة للمعلومة الصادقة الصحيحة.

الاعلامية العراقية والوضع الراهن- أنموذجاً

الصعوبات التي مرت بها الاعلامية العراقية سابقا وكي تثبت وجودها، تشبه النار التي فخرت طينة ما فجعلت منها صخرة صلدة قادرة على الاحتمال والمواجهة، ما يجعلنا ننظر لها باعجاب ودهشة مقرونة بالاكبار ونحن نراها تتصدى لجيل جديد شرس من المواجهات الصعبة التي لم تعتدها الاعلاميات في اصقاع الارض، الا في ساحات القتال او مناطق الكوارث، اما الاعلامية العراقية، فقد امتدت بها ساحة القتال او منطقة الكوارث لتطولها وهي في مقر عملها وفي بيتها وفي طريقها في المدينة مع الناس وبينهم. ولم تنجح سبلهن في الوقاية، فقد غيرت بعض الاعلاميات عناوين سكناهن، واحطن بالسرية مقرات عملهن، وحملن الهويات المزورة احيانا، فالمذيعة التلفزيونية على سبيل المثال غير قادرة على اخفاء شكلها المشهور او المعروف واذا استطاعت القناة التلفزيونية ان تهرب بكوادرها إلى خارج البلد او إلى المحافظات الامنة، فما الذي يمكن ان تفعله المراسلة التلفزيونية التي يفرض عليها عملها ان تكون في خط المواجهة، ولا احد ينسى اطوار بهجت وسواها.

تقول الزميلة (ن.ع) مذيعة تلفزيونية: في بداية عملي في احدى المؤسسات الاعلامية المعروفة، بدأت معاناتي، وكان الوضع الامني افضل نسبيا ولكن لاني وجه معروف، بدأت اواجه المشكلات من كل صوب، حيث كنت اتلقى التهديدات على هاتف منزلي واجد اوراقا مكتوبة فيها عبارات مظلمة مطوية ومرمية في حديقة منزلي، فاضطررت إلى مغادرة بغداد والنزوح إلى محافظات كر دستان العراق لاعمل في احدى المحطات التلفزيونية المحلية هناك.

والمذيعة التلفزيونية (م.ق) تقول: الشهرة التي كنا ننشدها حفاظا على الحياة ولهذا تركت عملي كمذيعة تلفزيونية وعملت كمراسلة ترافق صورتي الفوتوغرافية فقط صوتي وانا انقل الاخبار، ولم تمنحني تلك الطريقة في الاختفاء حصانة ضد التهديدات فانسحبت من العمل التلفزيوني لامارس العمل الاذاعي، كما ان الضغوط التي واجهتني لاني كنت اعمل مذيعة في قناة احدى دول الجوار، لم تكن تخطر ببال، فالموقف السياسي وموقف الشارع في تلك الدولة كان ينعكس علي فيصبح موقفا مني ايضا فانسحبت مرة اخرى إلى العمل الصحفي، وترأست تحرير صحيفة اسبوعية، وكنت واحدة من اربع نساء ترأسن تحرير اربع صحف ومرة اخرى اجبرتني التهديدات على غلق الصحيفة والجلوس في البيت، بعد ان فشلت جهات حزبية عدة في اغرائي على الانضمام اليها.

الزميلة المراسلة التلفزيونية هناء القيسي تقول: لقد واجهت الكثير من الصعوبات في عملي، وبخاصة ان عمل المراسل هو في قلب الحدث كما هو معروف، وهو مستهدف دائما، وهدف هش اضف إلى ذلك انه مكشوف لانه وجه معروف، وقد اصبح حمل الكاميرا علنا اليوم بمثابة اعلان انتحار او دعوة للقتل، ولهذا يخفي المصورون كاميراتهم، والبعض يحملون اغطية لها كما يحملون هويات مزورة، وهذا ما اجبرني على ترك العمل التلفزيوني والانصراف إلى العمل الاذاعي كمذيعة ايضا.

المذيعة التلفزيونية (ز.ح) تقول: اعمل حاليا في احدى المؤسسات الاعلامية المعروفة، واعاني كثيرا في رحلتي الاياب والذهال، من وإلى مقر المؤسسة والبيت، فتراني اخرج من بيتي دون مكياج وانا ارتدي (الربطة) الداكنة اللون لاغطي شعري، واضع على عيني نظارة سوداء واحمل ملابس عملي في حقيبة خاصة، اليس مؤلما ان نكون معروفين، ولكنا نجد انفسنا مجبرين على الاختباء، حفاظا على ارواحنا؟.

المذيعة الاذاعية نضال سالم تقول: ادت الاوضاع الامنية الراهنة الصعبة، واستهداف الاعلاميين والمرأة منهم بشكل خاص إلى عزوف الكثيرين عن العمل الاعلامي، الامر الذي ادى إلى قبول المؤسسات الاعلامية العاملة في الساحة اليوم، بمواصفات ادنى مما يحتم العمل الاعلامي، ما ادى إلى هبوط في مستوى الاداء الاعلامي عامة، كما ان الضغط الامني، ادى إلى تجميد قدراتنا وعدم امكانية تطويرها فالانشغال المزمن الدائم بكيفية البقا على قيد الحياة، شل قدرتنا نحن (النساء) بشكل خاص، على التفكير بامر آخر، المرأة الاعلامية هنا نموذج لمعاناة المرأة العراقية عموما وان كانت الاشد فاذا كانت الموظفة الحكومية او الاهلية مهددة في الطريق إلى عملها او بيتها فالاعلامية مهددة في كل مكان فهي على احتكاك دائم بالشارع، وتعمل فيه وفي زوايا صعبة منه، قد لا تصلها العراقية الاخرى، ولهذا فان المخاطر امامها اكثر ومع ذلك فهي مستمرة تتحدى.

إبداعات نسائية:

مهـــنـــدســـات يـــتركـــن بـــصماتهـــن على جـــســـور الـــنـــاصريـــة

الناصرية / حسين كريم العامل

وحده جسر السكة الكونكريتي قادني للمهندسة لبنى وزميلاتها فتحية وايمان وحنان ، فالجسر الذي انجز مؤخرا باشراف مباشر من مديرية طرق وجسور ذي قار واحد من حزمة من الطرق والجسور التي تركت المرأة الذي قارية بصماتها على مفاصل تنفيذها .

فحنان عويد المهندسة الشابة التي اشرفت على تنفيذ وانجاز الجسر المذكور وعلى حد تعبير زميلها كاظم الحصيني (اعيت الحيلة في رؤس المقاولين) عبر حرصها على دقة التنفيذ واثبات دور المرأة في موقع وميدان العمل .

فهذه المرأة التي لا تتوفر أي فسحة للمقارنة بين قوامها النحيل وضخامة الجسور مازالت وعلى الرغم من كل الظروف الاجتماعية والمحبطات الامنية تواصل عملها واشرافها على تنفيذ جسر كونكريتي اخر بطول ٨٠ متراً في ناحية الغراف (٢٥ كم شمال الناصرية) حيث تحققت حتى الان نسب انجاز تقدر بـ٣٠ ٪ من اعمال المشروع المذكور.

وتجربة حنان لم تكن الوحيدة في هذا المضمار فقد سبقتها العديد من المهندسات في تنفيذ الطرق والجسور من بينهن المهندسة فردوس مجدي وايمان شاكر ووسن ريسان ولبنى حسين وبلقيس شهد ونورية هادي فضلا عن المهندسة فتحية حيال والتي تشغل حاليا منصب مدير موقع الخباطة المركزية في شركة اشور للمقاولات والتي تحدثت عن دورها في تنفيذ الطرق والجسور قائلة :

شاركت المرأة في معظم مراحل تنفيذ مشاريع الطرق والجسور بدءا من التصميم وتجهيز المواد وانتهاء بالاشراف وانجاز المشاريع ، فقد تسلمت في مطلع الثمانينات كوني مهندسة ميكانيك مسؤولية معامل اسفلت الناصرية التي جهزت طريقي الناصرية –الجبايش والناصرية –الاصلاح وطرق داخلية اخرى بمادة الاسفلت كما اشرفت منذ عام ٢٠٠٠ وحتى ٢٠٠٢ على اعمال صب الدعامات والسطوح والجدران الكونكريتية الساندة لجسر النصر الذي تعرض للتدمير ابان حرب الخليج الثانية ومن ابرز من شاركني العمل وساهمن في تنفيذ الجسر المذكور من النساء المهندسة وسن ريسان والمهندسة حنان عويد والمساحة نورية هادي .

واشارت حيال التي تشرف حاليا على تجهيز مادة الكونكريت لجسري الفضلية والغراف إلى دور المرأة في مديرية الطرق والجسور وتصديها لمهام كبيرة في مفاصل العمل مشيرة إلى ان شخصية المرأة واصرارها على تحمل المسؤولية هو العامل الرئيس وراء نجاحها في جميع المجالات .

فيما عزت مديرة الشؤون الفنية في مديرية طرق وجسور ذي قار المهندسة ايمان شاكر علي السبهان الحاصلة على اكثر من خمسة كتب شكر وتقدير في مجال تنفيذ الطرق نجاح المرأة في عملها إلى سعيها لاثبات الذات وشعورها بانها تستطيع ان تقدم الافضل وحذرها الشديد من الفشل ، وقد حدثتنا عن ابرز المشاريع التي شاركت في تنفيذها قائلة :

عملت منذ عام ١٩٨٨ وعلى مدى عامين مديرة لصيانة الطرق الخارجية كما توليت مطلع التسعينيات وضمن مشروع تطوير المدن مسؤولية ادارة معمل اسفلت الغراف وكذلك تسلمت مسؤولية الاشراف على اربع شركات عاملة في مشروع ماء البصرة اواسط التسعينيات اضافة إلى مسؤولية الاشراف والمتابعة في المنشاة العامة للطرق والجسور في المنطقة الجنوبية الملغاة .

واشارت السبهان التي تشرف حاليا على اعداد الكشوفات والتصاميم الفنية واعداد ومتابعة الفحوصات المختبرية الخاصة بالطرق بدور زميلاتها في مواقع العمل حيث تشرف المهندسة لبنى حسين وحنان عويد ميدانيا على تنفيذ طريق الغراف – الحمزة وجسور في البطحاء والغراف وجسر السكة المذكور آنفاً.

ودعت السبهان في ختام حديثها المرأة لان تكون بمستوى التحديات وان تثبت جدارتها في جميع ميادين العمل وان تعمل على تعزيز دورها في حركة المجتمع كما اهدت تحياتها لجميع النساء بمناسبة يوم المرأة العالمي.